آليات الخطاب المعتدل
وأثره في توجيه الخطاب الديني

ا.د. باسم باقر جريو[1]

المقدمة:

مما لا شك فيه أن من يتصدى لمهمة الخطابة أو التبليغ يجب أن يكون على قدر كبير من المسؤولية الحتمية بضرورة إتباع المسالك الوسطية، التي نادى بها الشرع وأصبحت ثوابت ملزمة في كل التشريعات السماوية على اختلاف مناحيها الدينية التي دعت إلى مداواة النفوس العليلة التي أصابها الوهن والضعف جراء حبائل الشيطان ليبعدها عن مسار الحق والفضيلة إلى طريق الباطل والرذيلة.

وان الواجب فعله على المبلغ أو الخطيب هو إيصال رسالة السماء لتذكر أطباء النفوس علّها تداوي جروح الذنوب التي خلفتها دعوات وإغراءات الشياطين، وتخرج بحصيلة إرشادية يتحمل الخطيب بما يملك من أدوات غرسها في النفوس منتجا بذلك منبراً خطابياً نافعاً لبناء شخصية الإنسان وفق المسارات السماوية الأصيلة.

وتأسيساً على ما سبق فإن المجتمع بحاجة إلى وعظٍ وإرشاد روحي ينقله من براثن الخطيئة إلى مراتب الفضيلة والتوبة ونشوة القرب من الله تعالى .

والسؤال المطروح وفي ضوء ما تقدم : ماهي الأساليب التي يجب أن يتبعها الخطيب أو المبلغ لتحقيق الأهداف المرجوّة من الخطبة وأحداث التوازن النوعي في التأثير والتأثر..؟

وهل يبقى المفكر أو الخطيب حبيس الكلمات أو الرؤى القديمة ؟ أم يأتي بأساليب جديدة ومبتكرة في ضوء مفاهيم الحداثة وعلم الكلام المعاصر؟ لتلبي الاحتياجات

---

[1] استاذ علم الكلام في جامعة الكوفة / العراق

الإنسانية وهو يعيش في ظلال الاختلافات الأيديولوجية التي باتت تهدد الوجود الإنساني برمته ..

وقبل أن نعرض الشروط الواجب توفرها في الخطيب للقيام بهذه المهمة الإصلاحية، حريٌ بنا أن نعرض إلى ما موجود على الساحة من مدارس فكرية وبشكل موجز فلقد أدى التسلط الكنسي خلال العصور الوسطى على مقدرات الناس من جهة وتواطئهم مع الملوك والأمراء من الروم إلى ظهور قوى إصلاحية عمدت إلى تحطيم هذا الحليف المتحكم في المجتمع آنذاك فبدأت عمليات تنظير عديدة لم تجزم بطلاق ابدي للدين وذلك لعدم تخلي أوربا عن الجانب الروحي والغيبي الذي اخذ يتعاظم في ظل استدراك للمجتمعات الأوربية لتلك الجوانب وعودتها المتألقة للسمو الذاتي بعد الارتداد الذي أصاب البنية الأوربية في عقر دارها مما خلق دمارا كبيرا في النفس البشرية آنذاك.

لقد تمخضت وتبلورت ثلاث مدارس فكرية تأثر بها المثقفون والجامعيون المسلمون، ونتج عن هذه المدارس ما يسمى بـ "العلمانية".

أما المدارس الفكرية فهي :

الأولى : السكولارزم " فصل الدين عن السياسة"

وهي مدرسة فلسفية أيديولوجية ومثلت الجانب الفكري التأملي لعديد من الفلاسفة المسيحيون في القرون الوسطى الذين كانوا يعملون ضد العقيدة الدينية الراسخة، إذ كانوا يبحثون عن الحلول للمشاكل الفلسفية الجديدة (كالإيمان والإرادة والحكمة والعقل والواقعية... والبرهنة على وجود الله) .. وقد استخدم هذا المصطلح في عصر النهضة وحتى بداية القرن التاسع عشر كتعبير دال عن اللوم والازدراء [1].

ولهذه المدرسة عدة اتجاهات، لكنها تعتمد بالأساس على فصل الدين عن النظام السياسي والاجتماعي، ولا زالت هذه النظرية لها تأثيرات فكرية ألقت بظلالها على الواقع الإسلامي نوعاً ما، والهدف واضح تماماً وهو إبعاد رجل الدين عن معترك

الأحداث السياسية والاجتماعية وجعله يعيش في نمط الطقوس العبادية والرياضية الروحية لإشباع ظمأ روحي لا غير[2].

الثانية : مدرسة البلوراليسم "تعدد الإدراك" " Pluralism"

وهي فلسفة التباين والتعدد والذي لا يمكن أن يكون معه امتلاك الحقيقة المطلقة، وتعتمد على منهج الإدراك وكيفية انتقاء المعلومات والاستنتاج من تلك المعلومات . تعتمد المدرسة على أساسيين (الأول) أن الإنسان لا يستطيع أن يحيط بالحقيقة بمفرده (الثاني) أن الإنسان وان أدرك بعض الحقيقة لا يستطيع إدراكها كلها. وقد تكون التعددية سياسية وثقافية ودينية وفلسفية .. وهي ترفض فكرة أن يكون العقل أو المادة أو كليهما أصل الوجود، لان الوجود يتألف من الكثير من الكيانات التي تتفاعل وتتكامل معاً في إطار عام كل لها قوانينها الخاصة وهذه القوانين الخاصة لا تسمح لأحد من الكيانات المكونة للتعددية أن يقصي أو يلغي واحد أو أكثر من الكيانات الأخرى [3].

الثالثة : " الهرمونطيقا " أي تعدد القراءات :

وهي فرع من فروع المعرفة الذي يتعامل مع نظريات التفسير، وعلى وجه الخصوص تفسير النصوص الدينية المقدسة كالتوراة والإنجيل والقران وكذلك النصوص البشرية، ورواد هذه المدرسة فلاسفة ألمان متخصصون في الالسنيات وعلوم اللغة، وتعتمد نظريات التفسير الهرمونيطيقي المسيحي وبالاستناد إلى النظريات الرومانية والإغريقية الكلاسيكية للنصوص الملحمية والخرافية [4].

كما أن هذه المدرسة ترفض القراءة الفردية للنص وتعتبره لغزاً له العديد من الحلول إذ المقصود بالقراءات هنا الدلالات والاستظهارات والاستنتاجات والإفهام.

أضف إلى ذلك فهي تعتبر أن المعنى وليد ذهن القارئ وليس ذهن المتكلم والكاتب . ففهم النص يعتمد على ذهنية القارئ ويكون معتمدا بتعدد الإفهام.

مدرسة الإسلام :

وقد تميزت هذه المدرسة عن سابقاتها من المدارس الحداثوية بالأصالة والعمق والحيوية كما كانت تتمتع بالمنهج العلمي الرصين الذي سبر أغوار النصوص وتعمق بها كاشفاً عن خفايا النصوص بمعانيها المتعددة ولم يقتصر على ظاهر المفردات إدراكا منهم بان هذا المنهج سيؤدي إلى الجمود والتحجر وعدم المكنة من مواكبة حركة التكامل الفكري.

كما جاء الإسلام محررا للإنسان من قيوده الفكرية التي توارثها جيلاً عن جيل ليفتح له الأفق ويحثه على التدبر والتفكير ... ومن ثم الاستماع إلى آراء الآخرين قال تعالى : " وشاورهم في الأمر ..."[5] " وأمرهم شورى بينهم ..."[6] رافضاً احتكار الرأي ونابذاً الرأي المجرد من المنطق والحجة والدليل.

العولمة :

وهي إحدى المجسدات الواقعية التي شهدتها الساحة الفكرية الأوربية كردة فعل للظروف الاستثنائية (الفكرية، الثقافية، الاقتصادية) بعد النمو الكبير في الغرب مما استدعى وجود أسواق رائجة للبضاعة الأوربية وعلى مختلف المستويات . كما جاءت لتعبر عن "المركزية الأوربية وعن العنصرية الدينية فيها والرغبة في القوة والسيطرة على مقدرات العامة" [7].

والمتأمل في المضامين المفهومية لهذه المفردة بعد استقراءها يجد أن الغرب بفلسفته المعهودة تجاه الشرق يحاول غزو المناخات الدينية عبر إيديولوجيته في التحرر الفكري من قيود الدين وتوجهاته التي لا تلبي ورغبات الإنسان المعاصر.

غير أن هذه الفلسفة لم تلق آذاناً صاغية أو أجواءاً مرحبة من قبل الجميع على الرغم من نفاذها في عقول ونفوس الكثير من المتأثرين والدارسين في الغرب والذين كانت لهم السطوة العظمى في حمل هذه الثقافة ونشرها إلى الشرق. وكان الخطاب الإسلامي احد الواجهات المتصدية لهذه الرؤية والتي وقف منها موقف الرافض لآثارها السلبية وتداعياتها المستقبلية .

العلمانية :

نظرا لتوسع ظاهرة " العلمانية" وتداعياتها على العقل العربي وتأثيراته المتنوعة، ونظرا للترابط الوثيق بين مصطلح العولمة والعلمانية كمنتج فكري غربي نشأ كردّة فعل لنفوذ سلطة الكنيسة بالعودة إلى حكم العقل وأصالة الإنسان مقابل حكم الدين وأصالة الكتاب المقدس. .

ولعل هذه الظاهرة أخذت بالشيوع والانتشار في مجالها التأثيري أكثر من ذي قبل إذ يعده الكثير من مثقفي الشرق أن الوقت قد حان لكي تأخذ هذه الظاهرة مداها الواسع بعد الاحتقان الكبير الذي سببه التطرف الديني وآثاره المخيبة والتي طرحت جملة من التساؤلات حول مدى فاعلية الدين البشري كمنظم للحياة الإنسانية بعد القطيعة الكبيرة بين الإنسان في خضم التطورات الحاصلة في الغرب وحالة الارتداد الكبير في كل مناحي الحياة البشرية في بلاد الشرق وتعاليم الدين الأصيلة كمنتج سماوي عظيم جاء هادياً ومشرعاً لنظام شامل وعام.

ولعل تأثير هذه الظاهرة وسطوتها الواضحة على عقول المفكرين والمثقفين ساقنا الاهتمام إلى عرض هذه الجنبة في هذا البحث ومدى علاقتها وتأثيرها الفكري بين المدارس الأخرى، وان لم تكن العلمانية مدرسة قائمة لها بعدها التاريخي كما هو حال المدارس الأخرى التي أثرت في عالم الفكر وغيرت الكثير من مجرياته عبر حركة الزمن.

الإسلام نزعة شمولية :

يقول الفيلسوف مطهري : "أن الإسلام لن يكون قادراً على مقاومة وصمود النظم الإلحادية إلا بعد أن يتحول إلى فلسفة للحياة، ويبسط هيمنته على عموم المجتمع، وإلا يظل حبيس زوايا المساجد وأماكن العبادة " [8].

هذه الصورة المعطاء للإسلام الحقيقي والتي وردت في مقولة الشهيد مطهري تجدد الدعوة مرة أخرى إلى تجسيد الحقائق والمعطيات الإسلامية إلى واقع عملي يؤكد النموذج الإسلامي باعتباره الحالة الطبيعية في الإطار العالمي العام فضلاً عن قدرته في استمالة عقول البشر في مجال حقانيته بوصفهِ منهجاً للحياة العامة بفضل عالمية

أهدافه ومشروعية أحكامه مما يمكنه من التحدي والتصدي لجميع النظم الغير مشروعة التي تسعى إلى أن يتبنى الإنسان موقفا مخالفا وينزلق نحو مهاوي الطروحات العقيمة في تلبية الطموحات الإنسانية .

ويدعو الشهيد مطهري في موضع آخر إلى نزع لباس القومية، والتفتح والتفاعل والتعايش مع الآخرين بقوله " لا ينبغي الحكم على القومية بالإدانة بشكل قاطع، وهي حين تأتي بخصائص إيجابية فإنها ستعزز مشروعات التضامن، والعلاقات الطيبة، والرفاهة العامة لأولئك الذين نعيش معهم، وهي ليست بالنزعة غير العقلانية أو التي تتعارض مع الإسلام "[9].

ويرى المفكر شريعتي أن من الضرورات الواجبة على المسلم أن يسقط الواعي حبه من الركون للمغانم الدنيئة وان يضحي بما هو مقدس في سبيلها . إذ يقول في هذا الصدد : "قابيل ... قد اسقط من حسابه إيمانه بالله، وضحى بالقديس من اجل مغنم شخصي ... والى حد ابعد، فان مستوى إيمان قابيل قد تدنى إلى حد جعله يستغل الدين لتحقيق مكاسب ذاتية " [10].

والمتدبر في كل هذه الصور، يجد أن الطريق السليم هو في ضرورة التعايش والتسامح مع الآخر وان كان عبر نافذة المشاريع القومية الايجابية التي تسعى نحو منجز عالمي شامل يحقق للإنسان والإنسانية هدفها المنشود في الحياة الحرة الكريمة التي ضمنتها كل الشرائع السماوية .

كما أن هذا المنهج يحتم على الجميع رفض الركون للنزعات الذاتية العنيفة التي تتنافى ومبادئ الأطروحة الإلهية.

هذه الرسالة بمعانيها الشاملة والتي تبعث الروح وتنمي الشعور على المنهج الأصيل الذي صاغه الإسلام وهو منهج الوسطية والعدل الذي يهدف إلى بناء دولة الإنسان بوصفها الحلم الحقيقي لكل المنادين بضرورة بناء دولة عصرية رافضة لكل المناهج التي لا تنسجم وحقيقة الأديان وتعاليمها ويكون أساسها الانفتاح والتعايش مع الآخر، هو الحتمية الضرورية للخطيب أو المفكر التي توجبها المتغيرات

المعاصرة في إنتاجها مجسداً الدعوة إلى الإيمان بها والتفاعل معها بعد أن وفرت الإجابات الكافية على إشكاليات نظرية التطرف والتحجر بوصفها مشروعاً تخريبياً لا يمت للإسلام وتعاليمه المقدسة التي تصلح لكل الأطروحات والمناهج الإيديولوجيات الموجودة على ساحة الفكر.

الشيخ الدكتور احمد الوائلي (ره) إنموذجاً..

لعل السبب الرئيسي الذي ساقني لإيراد هذه الشخصية وإبراز دورها المؤثر في مجال الخطابة المعتدلة أسباب عدة قد يكون أهمها انه كان مثال المفكر المبدع والخطيب المعتدل، حيث كانت خطبهُ تمتاز بالشمولية وعدم الجمود على اليقين والتطرق لكل الآراء الموافقة والمخالفة دون أن يتبنى رأياً أو يميل إلى فكرة، ولم يكن سباباً ولا طعاناً ولا لعاناً، إذ كانت مفرداته تمتاز بالشفافية والعطف والحنو وكانت موضوعاته يستمدها من الآم الناس وتوجعاتهم لذا لقيت هذه الشخصية قبولاً واقبالاً انصاتاً واستماعاً.

لقد انفرد الشيخ الوائلي بأسلوب خطابي رائع بعد أن خرج على القديم إلى الجديد فكان مريدوه من الشرق والغرب حين وظف الهدف الواقعي من الدين وفق رؤية لم يطّرقها غيره إلى أسلوب فريد جذاب من حيث الدعوة إلى الوحدة والوئام والى ترصين الواقع وشده حتى يمكن النفوذ فيه من خلال التوجيه الديني البليغ . فكان منبره الفكري مؤثراً على مساحة واسعة من الناس لم تقتصر على مذهب التشيع بل تعداه إلى غيره، بل إلى غير المسلمين احياناً.

وبهذه الطريقة المثلى اعتقد كثير من أهل الفن أن الشيخ الوائلي قد تفوق في قيادة منبر الاعتدال في أحلك الظروف وأصعبها فاستطاع أن يكون معلما لما بعده من الأجيال ووجهاً خطابياً ستبقى ساحة الفكر المعتدل تدين له بالكثير في خضم الصراعات التي تنوء بها في ظلال الخلافات العقيدية والفكرية الكبيرة. وهو في قمة عطاءه الفكري إذ يقدم لنا رؤيته حول طبيعة المنبر بقوله (ره) : " لقد كنت اطرح فكرة هموم وخواطر المنبر مع كثير من ذوي الشأن، فأسمع منهم المتحمس

للتحرك في هذا الموضوع، واسمع الذي يقابل ذلك بشيء من الفتور الناتج عن تصوره بان للمنبر دوراً محدوداً على مستوى العواطف الدينية عند فئة قليلة " [11].

وفي ضوء ما تقدم فالمتأمل في كلام الشيخ الوائلي يلحظ انه (ره) لم يتوقف على الحدود المألوفة والنمطية المعهودة عند جل الخطباء بل تعداه باسم التحليل المنطقي والوصف العالي وتعدد المعلومة وتنوع مصادرها إلى ابعد من ذلك وفقه رؤية متعددة الجوانب ومتشعبة الأطراف إلى الشمولية في العرض والعمومية في البيان دون الركون إلى محدودية الفكرة وضيق الأفق، مما جعله يتفوق على الكثير من اقرانهِ . وعلى هذا الأساس كان يدعوا إلى "الارتقاء بالمنبر حتى يصل إلى مستوى مرجع متجول يرجع إليه الجمهور للتعرف على حل الكثير من قضاياهم ومشاكلهم، أي جعل المنبر مكتبة متنقلة تؤهله للخوض في الأفكار العامة"[12].

الخطيب وواجباتهِ في ظل استثنائية الظروف:

اعتقد أن من أهم الواجبات التي تقع على عاتق الخطيب، هو نوع الخطاب في ظل الظروف التي مزقت الأمة وقطّعت أوصالها، فإيصال رسالة السماء مصداقاً لقوله تعالى : " الذين يبلغون رسالات ربهم" وحمل الناس على احترام الآخر والسعي لبناء دولة الكرامة التي حفلت بها النصوص النقلية الكثيرة هو الهدف الأسمى للمفكر أو الخطيب وهو يعتلي المنبر مذكرا بأمجاد هذه الأمة وسعي نبيها الأكرم محمد (صل الله عليه واله وسلم) لإرساء دعائم المحبة والسلام بين شعوب الأرض.

كما ينبغي الإشارة إلى حقيقة مهمة إلا وهي أهمية الحوار وضرورته القصوى في ظل هذه الظروف، خاصةً بعد أن لمسنا النتائج الوخيمة والآثار المدمرة جرّاء محاولة رفض الآخر أو تبني الموقف السلبي ضد الطرح المضاد .

وتاسيساً على ما سبق ومن النماذج الملموسة على سبيل المثال لا الحصر : موقف الكنيسة في العصور الوسطى وآرائها المتشنجة ومحاولة فرضها على الناس باعتبارها معتقدات دينية، فقد كانت لآراء أرسطو وبطليموس اليونانية في الطبيعة والفلك وغيرها قوانين لا يمكن مناقشتها أو إبداء ما يمكن إبداؤه إزاءها.

أضف إلى ذلك محاكم التفتيش التي مثلت تحدياً واقعياً لكثير من الآراء فضلاً على مواقفها الباطلة التي أودت بالكثير من الأبرياء، كان منهم العالم الطبيعي المعروف برونو الذي احرق حياً سنة 1600م، وكذلك العالم الفلكي الايطالي غاليلو سنة 1642م ومحاولة إجباره على مغادرة أفكاره وإنكارها بعد أن قال بحركة الأرض ودورانها حول الشمس، كل هذا وغيره سجل التاريخ قسوة الموقف الكنيسي وسوداوية أفعاله[13].

واليك مثال آخر من واقع الحياة الإسلامية : إذ " حدث المفضل بن عمر انه سمع ذات يوم كلاماً إلحادياً من ابن أبي العوجاء في مسجد الرسول (صلّ الله عليه واله وسلم) يقول : ((فلم املك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً، فقلت يا عدوّ الله تتحدث في دين الله، وأنكرت الباري جلّ قدسه .. فرد عليه ابن أبي العوجاء قائلاً : يا هذا أن كنت من أهل الكلام كلمناك، فان ثبت لك حجة تبعناك، وان لم تكن منهم فلا كلام لك، وان كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل كلامك يجادلنا، ولقد سمع بكلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا، وانه للحليم الرزين العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، ويسمع كلامنا، ويصغي إلينا، ويستغرق حجتنا، حتى إذا استفرغنا ما عندنا، وظننا انا قد قطعناه ادحض حجتنا بكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه رداً، فان كنت من أصحابه نخاطبنا بمثل خطابه))[14].

والمتدبر في مضمون هذه الرواية يجد من الدروس والمعطيات الحقيقية للمدرسة الإسلامية وهي تقدم ورقة عمل لأساس الحوار والتعاطي مع الآخر بلغة خطابية لم تخالف حقائق الواقع الإسلامي وقوانين العقل والمنطق وصولاً إلى تحقيق الأهداف في تنمية الحوار المتبادل ليكون منطلقاً لفهم الآخر في ضوء الحاجة العميقة للتسامح وضمان حرية الفكر.

وفي برنامج اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين والتي ترأسها رئيس المفوضية الأوربية السابق السيد جاك ديلور بتحديد ملامح إحدى الدعائم التربوية التي تؤكد عليها اللجنة، إلا وهي تعلم كيفية العيش معاً .. وان يتحول المدرسون من ملقنين إلى منظمي التعلم، وتحول المدارس إلى مراكز للممارسة اليومية للتسامح من خلال منح الآخرين فرصة للتعبير عن وجهات نظرهم[15].

الوعي التاريخي :

أن الوعي التاريخي بمسمياته المختلفة " تقاليد، عادات، تراث، ..." تكون العامل الأقوى في صياغة المنظومة الثقافية للمجتمعات ومنهم المفكر أو الخطيب، فالتصور التاريخي المتجذر لدى المجتمعات من الصعوبة بمكان اجتثاثه واقتلاعه، بعد أن ترسخت أصوله في الذات المجتمعية وانبتت فروعه، أضف إلى ذلك أن القضايا التاريخية قضايا فيها الكثير من الأخذ والرد والاجتهاد التي أوصلت المجتمعات في أحيان كثيرة إلى الصدام الاجتماعي الذي هو اخطر من الصدام الفكري.

فالطرح الذي ينتهجه الخطيب يجب أن يتضمن الدعوة إلى الوحدة والوئام والتعايش السلمي وفق المسارات التي تجمع المشارب جميعا في مشرب واحد تلافياً للتشتت والتشرذم والطائفية، كما أن الخوض في مسائل الوعي التاريخي والعقائدي يجب أن يكون منفتحاً على آراء الآخرين رغم المتغيرات التي لا تلتقي احياناً وطبيعة التراث أو التقليد السائد، كما أن التوظيف الفني المعاصر والذوق العالي واحترام المشاعر العامة سيكون سببا في مواجهة التطرف والعنف وترسيخ مبادئ الانفتاح على مختلف القوميات والديانات والأفكار.

إثارة العقول وأعمالها:

إذن كيف يتم تحريك الساحة الإسلامية لكي تتفاعل مع مضمون الخطاب، وما هي الأدوات الناجحة للخطيب الناجح في استنهاض الشعور الإنساني للوصول إلى هدف الخطاب وهو التأثير في شخصية المتلقي عبر استثارة دفائن العقول وتحريكها نحو الأصلح والأجمل.

إذ أن المتمرسون من الحذاق يعتقدون بان للعقول دوراً مؤثراً في دعوة الخطيب للناس، فالعلاقة بين الدين والعقل متلازمة لا انفصال فيها ولا انفكاك، فقد ورد عن انس بن مالك قال : ((أثنى قوم على رجل عند رسول الله (صلّ الله عليه واله وسلم)، فقال (صلّ الله عليه واله وسلم) : كيف عقله ؟ قالوا : يا رسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير، تسألنا عن عقله ؟ فقال (صلّ الله عليه واله وسلم) : أن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر، وإنما يرتفع العباد غداً في الدرجات، وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم))[16].

فالقوم يثنون على عبادة الرجل وأصناف الخير التي بدرت منه والتي منها الدعوة إلى الخير : فيسألهم النبي (صلّ الله عليه واله وسلم) : كيف عقله ؟ أي هل يتكلم بعقله أم بعواطفه؟

فالتدين خاص به، لكن الدعوة المستندة إلى العقل واحكامه هي الممدوحة في قول رسول الله (صلّ الله عليه واله وسلم).

ومن هنا يظهر أن الخطاب المستند للأدلة العقلية من آيات وروايات ونظريات وأقوال لشخصيات علمية وغيرها معتد بها . لا أن يطرح المسائل على عواهنها من دون أن يدعمها بدليل، فالعقول تستأنس بالأدلة أكثر من النتائج، لان فيها اطمئناناً أكثر وثقافةً أوسع .

ولبيان أهمية العقل ودوره في عرض اطروحته ما ورد في رواية ابن مسعود في قوله : قال المسيح (عليه السلام) : ((خذوا الخفَّ من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقاد الكلام، فكم من ضلالة زخرفت بآية من كتاب الله، كما زخرف الدرهم من نحاس بالضمة المموهة، النظر إلى ذلك سواء، والبصراء به خبراء)) [17].

وتزامناً مع المتغيرات الجديدة التي يشهدها العالم الإسلامي في ظل ارتفاع وتيرة الخلاف العقدي والفكري أصبح لعلم الكلام المعاصر أصولاً ومنهجاً ونظريات وأساليب قادرة على دفع الشبهات والأباطيل بلغة عصرية تستند إلى الدليل

والبرهان في درء الأفكار والمناهج التي تعبر عن انحطاط الإيديولوجيات المخالفة وصولاً لحالة السمو والتكامل المنهجي لفلسفة الإسلام ووجودها المتوازن في التعامل مع اعقد المشكلات التي تواجه العالم الإسلامي وتهدد ثقافته الدينية.

وفي ضوء ذلك فقد تبنت المؤسسات الفكرية لغة الحوار والخطاب المعتدل كوسيلة لإخراجه بالمظهر الذي ينم عن لغة الإسلام الراجحة والمستندة للخطاب الإلهي في إرساء قواعد التعايش والسلم المجتمعي.

ومما تجدر الإشارة إليه أن دور المؤسسات الفكرية والحوارية لم يقتصر على المؤسسة الإسلامية، فقد تأسست معاهد متخصصة في أمريكا وأوربا تعنى بأبحاث تطوير هذا العلم، وإقامة دورات تدريبية لتنمية مهارات التفاوض، وإدارة الحوار والخطاب، وقد شرعت جامعة هارفرد لدراسة العمليات التفاوضية المختلفة، باعتبارها من اكبر المشروعات في هذا العالم، الهدف من هذا المشروع هو تنمية وتطوير طرق ووسائل ومهارات التفاوض والوساطة من اجل معالجة المشاكل القائمة في المجتمع الأمريكي [18].

والمستغرب في الأمر إننا نملك دستورا يُعد من أغنى واعدل دساتير العالم وهو يمتلك ناصية الحوار والخطاب وفق أسس كاشفة عن المنتج الحقيقي لواقعية الحوار في ضوء الثوابت والتعاليم الإلهية التي عُدّت المصدر الأساس لقواعد التبليغ والخطاب الإسلامي المعتدل.

خاتمة البحث

بعد هذه الجولة في ربوع الخطابة والخطّاب للمدارس الاسلامية والعالمية وبيان توجهات ومناحي منظوماتها الفكرية ظهر لنا ان هذه المدارس عدا الاسلامية كان يشوبها القصور والفتور في مرجعياتها بدلالة انتهاء أمدها ومحدودية هدفها وضيق افقها.

أضف الى ذلك ان هذه المنظومات الوضعية التي ظهرت حديثاً واختطت لنفسها منحىً آيديولوجياً خاصاً بها، لم تقدم حلولاً ولو على المدى القصير لكثير من

الاختلافات المتجذرة على صعيد الفكر او العقيدة بخلاف المدرسة الاسلامية بما تمتلكه من عناصر القوة والنشاط والفاعلية والموضوعية وبما تمثله من معطىً الهي فرض وجوده بقوة بعد النجاحات الكبيرة التي حققها في عالم يموج فيه التطرف والتعصب والعبودية .

كما قدم الاسلام ما عجزت عنه المنظومات الاخرى بفعل عالميته وشموليته ومحاكاته للتجربة للانسانية المجردة عن خصوصية الزمان والمكان.

وفي ضوء ما سبق فقد حُظي الخطاب الاسلامي باحترام وتقدير الملل المختلفة بفعل وسطيته الفكرية وتوجهاته نحو نبذ التطرف والغلو كظواهر شاذة تصدع المجتمعات وترسخ روح التشرذم والتفرق الذي نبذتها تعاليم السماء بشرائعه المختلفة، إذ حفل الخطاب الالهي بالاعتدال في ترجمة تعاليمه بوصفها منهجاً ثابتاً للحياة البشرية.

وفي ضوء ذلك فان هذا النهج يفرض على جمع اهل الديانات عدم النزوع او الترويج للخطابات المتطرفة التي لا تنسجم مع مسار السماء والحياة الحرة الكريمة، إذ ان الفكر المتطرف لا يمكن ان يقدم اطروحة للحياة قادرة على البناء الحضاري العالمي وترسيخ تعاليم السماء المنادية بالوسطية والاعتدال.

المصادر

(1) http:// em.wikipedia.org/wiki/scholasticism retrieved 11.5 2015.

(2) (ظ) الحداثة العولمة والإرهاب، الشيخ محمد سند، ص27.

(ظ) الحداثة العولمة والإرهاب : الشيخ محمد سند : ص27.

و http://en.wikipedia.org/wiki/pulralism .retrieved 11.5.2015

Marrone، S.2006. The Cambridge companim to Mediaval philosophy.Combridge university press. Pp. 10-11.

و (ظ) الشيخ محمد سند (مصدر سابق).

آل عمران : 159.

الشورى : 38.

حنفي، د. حسن : العولمة بين المناهضة والترحيب، جريدة الزمان، عدد 1231 في 2002/10/7.

الاسلاموية والحداثة، فرهنك رجائي، مركز الدراسات والبحوث، ط1، 2010م، ص209.

م.ن. : ص221.

م. ن. ص 220.

و (12) تفصيلات هذا الموضوع : مجلة المنهاج : مركز الغدير للدراسات الإسلامية : العدد 17 : السنة الخامسة : 2000م، بيروت : ص 401 وما بعدها.

الحوار والانفتاح على الآخر: حسن الصفار : دار الهادي، بيروت، ط1، 2004.

بحار الأنوار : محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1983م، ج3، 57-58.

العنف والدين وتفاهم الحضارات، فتحي التريكي وآخرون : الوسيطي للنشر، تونس، 2008م، ص222.

بحار الأنوار : المجلسي : دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1983م، ج1، ص83.

بحار الأنوار : المجلسي : دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1992م، ج2، ص398.

الحوار والانفتاح على الآخر، حسن الصفار، ص 42.